تجليات ما بعد الإستعمارية في رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد

زهراء پور حمدانيان
طالبة الدكتوراة في فرع اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات الاجنبية، جامعة أصفهان، إيران
Z.hamdanian@fgn.ui.ac.ir
الدكتور روح الله نصيري (الكاتب المسؤل)
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات الاجنبية، جامعة أصفهان، إيران
r.nasiri@fgn.ui.ac.ir

The Manifestations of Post-Colonial Theory in Abeer Scheherazade's Novel Crossroads of Ages

Zahra Pour hamdanian
PhD student in Arabic Language and Literature , Faculty of Electronic Languages , University of Isfahan , Iran
Ruhollah Nasiri (responsible writer)
Associate Professor , Department of Arabic Language , Literature , Faculty of Electronic Languages , University of Isfahan, Iran

الملخص:-

تعرّضت الرواية الجزائرية في تاريخها إلى تغييرات مختلفة في الموضوعات والأساليب وقد تفوق الرواية الجزائرية الرّوايات الأخرى في اتّباعها هذا الأمر وذلك بسبب كثرة التغييرات التي واجهها الشّعب الجزائري في المجتمع. تعدّ الكتابة ما بعد الاستعمارية من الموضوعات المهمّة التي نبّهت الشّعوب المتحرّرة من الاستعمار بالنّسبة إلى الأشكال الجديدة من الاستعمار التي قد تظهر في الثقافة بشكل أوضح. بسبب أن رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد من أشهر الأعمال الأدبية الجزائرية ومدي أهميتها بالنّسبة إلى المشاكل التي واجهها الشعب الجزائري بعد التحرير حاول هذا المقال أن يمعن النظّر في تجليات ما بعد الاستعمارية في هذه الرواية وفق المنهج الوصفي- التحليلي. مطالعة الآخر المحتل والاستعمار والاقتصاد والاغتراب الذّاتي والحنين والتشوّق إلى الوطن وتحدّيات القيم والثّورة الجزائرية من الموضوعات ما بعد الاستعمارية التي حاول دراستها هذا المقال. من أهمّ النتائج التي توصّل إليها هذا المقال هي أنّ الرّوائية تجاوزت الروائية ذات الإطار التقليدي التي تقوم على توجيه إصبع الاتّهام نحو الآخر وتحمّله كافّة المآسي والمشاكل التي حلّت بالشّعب الجزائري بل استطاعت الروائية إضافة إلى انتباهها بالنّسبة إلى مدي تأثير الآخر في توجيه المشاكل أن تدقّق في موقف الشعب الجزائري أمام هذه المشاكل فهي ترى بأنّ الشّعب الجزائري والعربي يعاني في معظم الأحيان من سوء التدبير في المقاومة وأنّ الروائية حاولت أن تبين في تناولها الموضوعات المعنية مخاوفها وهواجسها وقلقها بحيث حاولت أن تبين الفكرة والأزمة المتعلّقة بكلّ من الموضوعات ومن ثم تبين شدّة وحدّة المشكلة الرّاهنة ومن ثمّ تنبّه بالنّسبة إلى المشاكل وفي معظم الأحيان حاولت أن تقدّم حلولاً لتلك المشاكل.

الكلمات المفتاحية: ما بعد الاستعمارية، الرواية النسوية الجزائرية، عبير شهرزاد، مفترق العصور.

Abstract:-

In its history, the Algerian novel has undergone various changes in topics and methods And the Algerian novel has surpassed other novels in pursuing this issue, considering the many changes that the Algerian people have faced in the society. Postcolonial writing is considered one of the topics that made people freed from colonialism aware of new forms of colonialism that may be clearly visible in culture. Since the novel Intersection of the Ages by «Abir Shahrazad » is one of the most famous literary works of Algeria and because of its importance in relation to the problems faced by the Algerian people after independence, this article has tried to analyze the post-colonial signs according to the descriptive-analytical approach. Investigating the occupied land, colonialism, economy, alienation, passion, patriotism, value challenges and the Algerian revolution are among the post-colonial issues that this article tries to investigate. One of the most important results achieved by this article is that novelists have gone beyond imitative novelists who point the finger of blame at others and express all the calamities and problems that have befallen the people of Algeria. In addition to being aware of the causes of the problems, the novelist has been able to examine the views of the Algerian people against these problems. He believes that the Algerian and Arab people often suffer from mismanagement in the resistance, and the novelist has tried to show his fears, concerns and anxieties in dealing with related issues in a way that shows this idea and It shows the crisis related to each of the topics and then shows the severity of the current problem and then informs you about the problems, most of the time it tries to provide solutions for these problems.

Key words: Post-colonialism , the Algerian feminist novel, Abir Shahrazad.

المقدّمة:

تعدّ الرّؤي والنظريات في العهد الحديث من أهم الدّعائم التي تقوي الأدب وخاصّة بعد ظهور أنواع أدبية لم تشهدها العصور الماضية كالرّواية وهذا ما أدّي إلى غناء الأدب الحديث ومسايرته المشاكل الإنسانية كما كان عليه في السّابق.

نظرية ما بعد الاستعمار تعد نظرية فارقة بين حقل موسّع من الأفكار والآثار الأدبية التي شهدها الأدب في العهد الحديث حيث تفرّق هذه النظرية الأدب وفي البلدان المستعمرة خاصّة إلى قسمين، قسم يتعلّق بالكتابة المرتبطة بالتحرير مباشرة وقسم سلّط الضّوء على المشاكل التي قد تكون أخطر من التدمير الظاهري والهيمنة على الشّعوب والمراد المشاكل الثقافية واحتلال الهوية التي راح يجنّد الاستعمار لصالحها شتّي طاقاته وقواه. وبشكل مختصر يعتقد إدوارد سعيد وهو أوّل من نبّه إلى هذه النظرية أنه "دراسات ما بعد الاستعمار" تهتم بشكل أساسي بدراسة الآثار المترتبة على الاستعمار، على أصعدة مختلفة، ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، لكن يمكن القول إنه تصور عبّر بشكل واضح عن نزعة نقد ((ما بعد حداثية)) للاستعمار، و((ركز على تفكيك البنية المعرفية التي شكلها، باعتبار أنها لا يمكن أن تنفصل عن السلطة، وسعيها المستمر لتخليق "الآخر" المستعمَر وتمثيله، ضمن نوع من "التمييز الأنطولوجي والمعرفي".)) (سعيد، ١٩٨١، ١٢١).

جمع الأدب الجزائري مساعي جهده للتعبير عن الواقع المأساوي للشّعب الجزائري فأخذ يعبّر عن الويلات والأزمات التي شنّت غاراتها على الجزائر وهذا الأدب تمثّل في الشعر الفصيح وتعدّي إلى الشّعر الشعبي إلى أن وصل الرّواية.

فكانت الرّواية الجزائرية تساير الأفكار والمضامين الثّورية التي ظهرت جلياً في الشعر الجزائري، سايرت كذلك الرواية النسوية مسيرة الثورة الأدبية التي عملت على فضح إيديولوجيات الآخر والحط من شأنه. عبير شهرزاد من تلك الأديبات اللاتي آلين جهداً خاصّاً في الدفاع عن الوطن وتسليط الضّوء على الموضوعات التي جاءت مجابهة للآخر المحتل. عبير شهرزاد من روائيات الجزائر والتي سايرت حركة الدفاع عن الوطن بالقلم إلّا أن لدور روايتها مفترق العصور دورٌ أبرز حيث تكمن أهمية رواية مفترق العصور ومطالعتها من منظور السّرد مابعد الاستعماري هي أنّ هذه الرّواية حاولت أن تقدّم للقارئ

صورة مكتملة للحالة التي عمّت لبنان في أيام الحروب الأهلية وكذلك ظهور قضية المصالحة الوطنية و((قد تناولت عبير شهرزاد موضوع الحوار الثقافي وأدارته عبر ثنائية المقاومة والاستلاب، مقاومة تأسّست على نبذ الآخر فكان تعزيز الانتماء عبر استحضار الوطن في المنفي وفي الوطن ذاته هو الوطن الذي تحوّل إلى آلية دفاعية لمواجهة الآخر وتجريمه.)) (ليلي، ٢٠١٩، ١٢٤). يحاول هذا المقال أن يبحث عن تجليات ما بعد الاستعمارية في رواية مفترق العصور وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي، فتمّ اختيار موضوعات فرعية هي تعدّ في دائرة الكتابة ما بعد الاستعمارية حاول الباحثان أن يستعيدوا النّظر فيها ويقوما بالشّرح والتحليل لتلك الموضوعات.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث أن يردّ على الأسئلة التالية:

١. ما هي المضامين التي تعدّ في سياق تجلّيات ما بعد الاستعمارية المستخدمة بواسطة الروائية عبير شهرزاد في رواية مفترق العصور؟

٢. ما هي الأسباب المرتبطة باستخدام الكتابة ما بعد الاستعمارية التي ميزت رواية مفترق العصور وكاتبتها عن الرّوايات الأخرى؟

خلفية البحث:

رواية مفترق العصور من الروايات الجزائرية التي كانت ذات تأثير مهم وبارز في توجيه الرواية الجزائرية إلى الإنتباه إلى موضوعات قد تكون حديثة تحكي عن جوانب جديدة من السياسات ما بعد الاستعمارية للآخر. تعرضت رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد لشتي الدراسات والقراءات، من أهم الدراسات التي تناولت رواية مفترق العصور يمكن أن نشير إلى البحوث التي ذُكرت أدناه.

تبحثت الطالبان يجد صحرة وطالبي ليلة في مذكرتهما ((السياسي والاجتماعي في رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد أنموذجاً)) عن الموضوعات السياسية والاجتماعية التي عالجتها الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة وكذلك البحث عن مواطن تمثّل الأبعاد السياسية والاجتماعية التي تستقطب اهتمام الروائيات الجزائريات من الجيل الجديد. من النتائج التي

توصّلت إليها هذه الرسالة هي أن موضوع المرأة وحريتها موضوع لا يمكن الإستغناء عنه خاصة لّما يكون الروائي أو الكاتب ينتمي إلى الجنس اللطيف، حيث أولى الكتاب والكاتبات عناية فائقة لدور المرأة منذ الإستعمار وهذا بتثمين مشاركتها في النضال والكفاح الوطني، من خلال ما تحملته المرأة الجزائرية من عناء مسؤولية العائلة وكذلك ما واجهته إزّاء ذلك من تعذيب وتشريد في ظروف العزلة وغياب المحامي وأنّ العنف والإرهاب والعشرية السوداء مواضيع تطرقت إليها الروائية في روايتها كون هذه الأخيرة الأنسب لطرح الوجود المأساوي، ومحنة الإنسان العربي والجزائري خاصة، المقهور في أرضه ووطنه ومنزله. وقشت هذه الرسالة عام ٢٠١٤ بجامعة بجاية لنيل درجة الماجستير.

تخصص مصالي ليندة في رسالتها لنيل درجة الدكتوراه والتي تحمل عنوان ((المتخيل السردي في الرواية النسوية الجزائرية)) باباً لرواية مفترق العصور لعبير شهرزاد. آليات السرد الأنثوي بين التجلي والتخفي وموضوعات السرد الأنثوي وتجاوز الذات وانخراطها في القضايا الكبري من الموضوعات التي تناولتها ليندة في هذه الأطروحة. من النتائج التي توصلت إليها الباحثة والتي تخص رواية مفترق العصور هي أن عبير شهرزاد من الروائيات اللاتي قمن بتقويض صورة الفحل في المتخيل السردي وتقزيم دوره بحيث ابتعدت عن أي عرض إيجابي لصورة الرجل، نافية دوره العظيم في الحياة وكذلك أن الكاتبة طرحت قضايا هامّة في خطابها السردي كالصراع القائم بين الغرب والشرق مظهرة بذلك مدي اهتمام المرأة بقضايا وطنها وقضايا العالم الإنساني. نوقشت هذه الرسالة عام ٢٠١٧ بجامعة محمد لمين دباغين كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه.

من المقالات التي كتبت حول رواية مفترق العصور يمكن إلى الإشارة إلى مقال كتبته تحري ليلى. يحمل هذا المقال عنوان ((الحوار الحضاري بين جدليتي المقاومة والاستلاب، مفترق العصور لعبير شهرزاد أنموذجاً)). تبحث الكاتبة في هذا المقال على الحوار الحضاري والأنا والآخر والمقاومة الثقافية والاستلاب الثقافي. من النتائج التي توصلت إليها الروائية هي أن العمل على قراءة المشروع قراءة ثقافية كاشفة قائمة على فضح وتعرية المشاريع الغربية القائمة على مثاقفة استئصالية تمجد الحضارة الغربية وتقصي ما عداها، في الوقت الذي تعمل فيه القراءة على مراجعة انتقادية للذات العربية وتفتحها على نوافذ الآخر

وتعتقد الباحثة بأنه تبقي الحاجة إلى تلك الفضاءات الرحبة من الحوار والمصالحة تأسيساً لذاكرة ثقافية إنسانية ومواطنة كونية تتحاور فيها الثقافات والحضارات في إطار بعض من الهامش الذي يحفظ حرية التعبير وممارسة الخصوصيات. طُبعت هذه المقالة عام ٢٠١٩ وفي مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلّد الثامن والعدد الأول، صفحات ١٣٠-١٢٢.

ملخص الرواية:

سامية الشخصية المحورية لرواية مفترق العصور تقف موقف المغترب والذي يعيد حساباته كي لا يخطأ لشدّة تغيير الأحداث التي كانت على شكل آخر في الماضي. تحكي سامية في الرواية عن الآلام والقيم الثورية للمناضلين الجزائريين والتي ذهبت هباء منثوراً إثر التغييرات التي طرأت على الشّعب والتي لم يكن الآخر بمعزل عن هذا التغيير. تحكي الشخصية المحورية عن الكثير من الأحداث التي وقعت في أيام تحرير الجزائر وتقارن بينها وبين الأحداث التي تشاهدها هي الآن في المجتمع.

سامية هي المرأة التي تقف في مفترق عصور حسّاس جداً وهي المرأة الخمسينية التي تصادف عشقاً جديداً وهو((مختار)) وهي في مرحلة وفاء طويلة لحبيبها كمال. سامية شخصية محورية في النّص وهي البطل وعبر حديث يجتهد فيه الأنا سيجد القارئ الكثير من بصمة المونولوج التي تمنح للقارئ حسّاً بالحميمية والكشف عن الجزئيات الخاصة. تتطوّر الأحداث الروائية بالتزامن مع أحداث وقعت بالفعل في العالم العربي والجزائر بمختلف خيباتها وانتصاراتها ومن هذه الشخصية الرّاهنة يتوصّل القارئ إلى شخصيات روائية وواقعية تمشي في تيار الزّمن الرّوائي. سيجد كلّ من يهوي التاريخ والقراءات النقدية للأشياء نفسه مستمتعاً بهذه الرّواية وفي بعض الأحيان يأخذ حيز الأحداث وقعاً متسارعاً قد لايستطيع القارئ اللحاق به وفي أحايين أخرى ترجع الكاتبة في الرّواية إلى الصّمت عبر الكلمات الهادئة ووصف المشاعر القوية الموغلة في عمق النّفس البشرية، ففي مفترق العصور كثيرٌ من الرّسائل السرّية والكلمات الجهورية والكثير من الحكم والأقوال الفلسفية التي تطعم النّص الرّوائي بجوٍ من العقلانية والثّورة العاطفية والرّواية بشكل أو بآخر دعوة صريحة لإعادة التفكير في حال الخونة اللذين كان لهم تصوّر خاص بهم.

رؤية ما بعد الاستعمار:

الرّؤية ما بعد الاستعمارية وكذلك الدراسات المابعد الاستعمارية والتي تُعدّ من إنتاج النظرية ما بعد الاستعمارية من الدراسات الحديثة والتي أثّرت تأثيراً هامّاً على الأدب الحديث وحتّي المعاصر. غالباً ما يمكن مشاهدة أثر النظرية ما بعد الاستعمارية في الشعوب التي عانت من الاحتلال الآخر الغربي كالجزائر وفلسطين.

يعتقد معظم الباحثين بأنّ النظرية ما بعد الكولونيالية هي من الآراء التي توصّل إليها إدوارد سعيد حيث يعتقد بأنّ كافّة الرّؤي والأفكار التي تدخل من الجانب الغربي إلى بلدان الشّرق وخاصّة البلدان المستعمرة هي تكون في صالح السياسات الغربية أي فالأمبريالية الثقافية التي نبّه إليها إدوارد سعيد والتي تقع البلدان الغربية في المقدّمة والبلدان الغربية في الهامش هي مرتبطة تماماً بالأعمال السياسية الغربية فيقول سعيد ((خطوة لا نحو فهم السياسة الغربية والعالم الغربي في هذه السياسة، بل نحو فهم قوّة الخطاب الثقافي الغربي، وهي قوّة كثيراً جدّاً ما تفهم خطأً على أنّها زخرفية فقط أو منتمية إلى البنية الفوقية، إنّ أملي هو أن أوضّح البنية المتينة الصلبة للسيطرة الثقافية، والأخطار والإغراءات الكامنة في استخدام هذه البنية، خصوصاً بالنّسبة إلى الشّعوب المستعمرة سابقاً أو على الآخرين)) (سعيد، ٢٠٠١، ٤٠ و ٤٢) هذه الأفكار التي نوّه إليها إدوارد سعيد تحكي عن ترقّب الغربيين للثقافة الشرقية وخاصّة البلدان المستعمرة والنظرية ما بعد الاستعمارية والتي يعبّر عنها بالنظرية ما بعد الكولونيالية تُشير إلى ((تلك الدّراسات التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً، وما يقع خارج الغرب من دول وقعت تحت طائلة الاستعمار، مع ما تضمّنته تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجيتها الخطابية.)) (بلعلي، ٢٠٠٧، ٧٤) فتقع البلدان الغربية ثقافتها في المركز وتعتقد بأنّ الشّرقيين مهمّشين لم يمتلكوا من الإبداع الثقافي الجديد أو بعبارة أخرى تسعى البلدان الغربية إلى فرض هيمنتها على الثقافة الشرقية.

بعبارة أخرى يمكن القول بأنّ الدراسات الما بعد الاستعمارية ((تنطلق من فرضية أن الإستعمار التقليدي قد انتهي، وأن مرحلة من الهيمنة - تسمّي أحياناً المرحلة الأمبريالية أو الكولونيالية- قد حلّت وخلقت ظروفاً مختلفة تستدعي تحليلاً من نوع معين ولذا فإنّ

المصطلحين ينطلقان من وجهات نظر متعارضة فيما يتّصل بقراءة التّاريخ وإن كان ذلك اختلافاً في التفاصيل لا في الجوهر؛ فبينما يرى بعضهم انتهاء مرحلة الستعمار التقليدي، وبالتّالي، انتهاء الخطاب المتّصل به، وضرورة أن يتركز البحث في ملامح المرحلة التّالية وهي مرحلة ما بعد الإستعمار، يرى بعضهم أن الخطاب الإستعماري ما زال قائماً وأن مرحلة ((المابعدية)) لا مبرّر له)) (البازغي والرويلي، ٢٠٠٠، ٩١و٩٢) وفقاً للموضوعات المذكورة في الشاهد يتحمل الأديب مشقّة فيما يتعلّق ببلده وخاصّة أمام أدب وثقافة بلده حيث عليه أن يتّخذ الأدب سلاحاً للذود عن الثقافة الوطنية وكذلك الدّفاع عن الاستلاب الثقافي والحضاري والأدبي الذي يقوم به الآخر أمام شعبه.

يمكن القول بأنّ الدراسات ما بعد الكولونيالية ((تُعدّ صحوة فكرية وثقافية وردّ مقاوم على الكولونيالية بُغية إبطالها على مختلف المستويات المادية والتاريخية والفكرية والثقافية لأنها تنشر توجّهاتها وآرائها في العديد من الفنون الأدبية كالمسرحيات والروايات، والقصائد الشعرية والأفلام وهي تُعدّ جميعاً وعلي اختلافها أثراً نصّياً ثقافياً رافضاً ومقاوماً لمختلف آثار الاستعمار، فهي بهذا المفهومتعدّ استراتيجية للقراءة ذات حدّين: إذ تعمل على كشف الوضع ما بعد الكولونيالي في النصوص من جهة وفضح تركات ومؤسّسات الكولونيالية من جهة أخرى)) (نادية، ٢٠١٦، ٢٤)وفقاً لما سبق يمكن دراسة الآثار الأدبية العربية التي حاولت نقد الأفكار والرؤي ما بعد الاستعمارية للغربي وهذا الأم نفسه يمكن أن يظهر في موضوعات مختلفة. يمكن القول بأنّ الموضوعات التي تثير الصّراع بين الشّرقي والغربي وكذلك تبرز الخلاف بالنّسبة إلى الاستعمار الثقافي للآخر هي الموضوعات التي يمكن دراستها في مجال الدراسات ما بعد الاستعمارية.

الآخر المحتل:

من الخصائص المتعلّقة بالكتابة ما بعد الاستعمارية يمكن الإشارة إلى الحديث عن الآخر بشكل عام والمراد الآخر الذي بات يعدّ نفسه مركزاً للعلم والثقافة والشعوب الأخرى في الهامش يعتقد إدوارد سعيد بأن خطاب الاستشراق بالثقافئ الغربية يتم بأشكال متعددة وغالباً ما يكون فيهال الآخر الشرقي ((لا عقلاني، فاسق، طفولي، متخلف، وبالمقابل فإن الأوروبي عقلاني، متحل بالفضائل، ناضج سوي.)) (سعيد، ٢٠٠١، ٧١)

حاولت الكتابة ما بعد الاستعمارية أن ترد على الرّؤية الدونية للآخر بالنسبة إلى الأنا، بما أن هذا الصراع ظهر أوضح في العلاقة بين الشرق والغرب لكنه يمكن عدّ الصراع بين الآخر الفرنسي والجزائري من هذا النوع. تعتقد عبير شهرزاد بأن الغرب بأجمعه والذي غالباً ما يتمثّل في أمريكا والكيان الصّهيوني وروسيا وفرنسا، كلّ هذه القدرات تسعى لتشتيت شمل العرب. ولذلك حينما تحكي عن الآخر المحتل تُشير إلى أمريكا في بداية الأمر وتعتقد بأنّ أمريكا والغربيين هم من سبق روسيا وفرنسا والبلدان الأخرى في الاحتلال وتدمير الشّعوب: ((وقفت أردّد في حزم.. من دون حسّ للألم: تعالى الذلّ والبأس انهزم..وأضحي الضخم يسجد للقزم..وما حلّ بالعرب هنا.. دليل أنّنا لم نحتلم.. فأمريكا على عرش العلا.. تسيرنا كقطعان الغنم..فيسكت بعضنا لمصالح.. ويرضي البعض بيعاً للنّعم.. فيهدي الغرب وقته للنّهي.. ونمضي الوقت في عقد القمم..)) (شهرزاد، الفصل الثّالث).

من الموضوعات التي أشارت إليها عبير شهرزاد في المقطوعة الشعرية السّابقة هي استنكار الموقف التاريخي والحضاري لدول الشّرق والعربية من قبل الغربيين وخاصّة الأمريكان، حيث تقصد بالضّخم، البلدان العربية نظراً لحضارتها وتاريخها الذي يعلو على أمريكا وأمّا القزم فهي أمريكا لأنّها لم تكن ذات تاريخ متجذّر وعريق وما بعد الكولونيالية لاتعن (مخاصمة الكولونيالية وإنّما تعني الوعي بالثقافات الأخرى، بالهويات والاتّجاهات والكتابات التي أريد لها أن تندثر، أو تنطمس لتعود ثانية إلى الظهور بصفاتها الأخرى، أي على أساس إنّها كتابات الردّ القادمة من المستعمرات حاملة معها هويتها وتنقيبها في خطاب المركز.)) (خليل، ٢٠١٦، ٢٥٨) ومن الموضوعات الأخرى التي أشارت إليها الروائية في الشاهد هي عدم اليقظة وانتباه العرب بالنّسبة إلى سياسات دقّ الاسفين التي تقوم بها أمريكا والغرب. صمت البلدان العربية بسبب المصالح ومحاولتهم لعقد القمم التي لا يجدي عليها خيرا من الملامح الأخرى التي أشارت إليها عبير شهرزاد والتي يقوم بها العرب أمام الآخر الغربي. وحقيقة حاولت شهرزاد أن تقدّم الواقع كما هو أي تُشير إلى المشاكل العالقة التي تُعاني منها البلدان العربية.

من الشّواهد الأخرى التي تحكي عن دور الآخر ونظرة الأنا الجزائرية بالنّسبة إليه؛

((ليتك تعرف ما يحصل في الوطن.. الجزائريون يعملون تحت إمرة السجناء الصينيين..

إنهم يقوضون أشغالهم الشاقة أسيادا على أرضنا، يستعبدون الشعب الذي غسلت ترابه دماء أجيال.)) (شهرزاد، ٦٣).

أشار الشّاهد إلى المشكلة الموجودة في المجتمع وكيف أن الجزائري أصبح في أدني الدّرجات حيث أصبح يأمر عليه السّجين الصيني وحقيقة الشّعب الجزائري لم يكن مثل تلك الشّعوب بل هو قد تحرّر أخيراً من سلطة الآخر وذلك بفضل دماء الأجيال التي انسكبت للحرية والاستقلال. ممّا يميز عبير شهرزاد كروائية تطرّقت إلى دراسة الآخر هي إبداعها في تناولها صورة الآخر والمشاكل الحديثة التي وجّهها إلى الشّعب ((ومن المهام المنوطة بالمثقّف أو المفكر أن يحاول تحطيم قوالب الأنماط الثابتة والتعميمات الاختزالية التي تفرض قيوداً شديدة على الفكر الإنساني وعلي التواصل بين البشر.)) (سعيد، ٢٠٠٦، ١٩) فكافّة المشكلات الثقافية والاقتصادية التي تُشير إليها الرّوائية هي إنذار للشّعب الجزائري فيما يتعلّق بالاستعمار الحديث، أي الاستعمار الذي أخذ يرسخ قواعده لا بالحرب والسّيف بل بالقلم والتثقيف.

الاستعمار والاقتصاد:

من الميزات الهامّة لرواية مفترق العصور هي أنّ الرّوائية حاولت أن تُشير إلى أهمّ الخطّات والأفكار التي راح يرسّخها الآخر المستعمِر بين الشّعب الجزائري فيما يتعلّق بالاقتصاد الجزائري و((أهمّ ما يميز الرواية الجزائرية هي ارتباطها الوثيق بالواقع، وهو واقع المجتمع وواقع الانسانية كلّها ويتجسّد في حياة الإنسان في بيئة معينة وفي وضعه الاجتماعي من الأنظمة من بؤس ورخاء، وعلائقه بالإنسان والأرض، وموقفه من الأنظمة والقوانين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.)) (سميرة، ٢٠١٢، ٣٢) لكنّه حاولت عبير شهرزاد أن تنبّه بالنّسبة إلى أهمّ المشاكل التي راح يعاني منها المجتمع الجزائري. بثّ المشاكل الاقتصادية وتوجيه الضربات القاضية والمهلكة إلى هيكلية الاقتصاد الجزائري من الملامح الاستعمارية للآخر أمام الشعب الجزائري.

فاستخدم الآخر كافّة أساليبه وقواه للتركيز على الهوية العربية والجزائرية. من الموضوعات التي أشارت إليها الرّوائية في الرّواية هي قضية الإنتاج؛

((ليست منتجاتنا وحدها مليئة بالخديعة.. منتجاتهم أيضا تحمل إليك صدمة بعد صدمة.. فلم أتذوّق طعم الكل في كل ما أكلته.. فلا البطاطس المقليّة تحمل طعما ولا حبة البرتقال المنفوخة بالمواد الكيمياوية، وفي شكلها المخادع تحمل نكهة.. كل شيء كان بلا طعم على موائدهم.. لكنّ الفرق بين خداعهم وخداعنا.. أنهم يخدعوننا ونحن نخدع أنفسنا.. نحرص على تقديم الأفضل للغير، ليس من باب الكرم والإيثار، وإنما باسم مصالح الناس.. النّاس الذين يعيشون فوق رؤوسنا هنا وهناك.)) (شهرزاد، ٣٤).

ترى سامية بأن الإنتاج الذي يقوم به الآخر يفتقد الجودة، فهي لم تستلذّ بطعم الأكل في فرنسا وتعتقد بأنّ الآخر يخدع شعبه في الطّعام والأكلات التي يقدّمها له، من الملاحظات الجميلة التي لا يمكن أن نتجوزها في الشّاهد السّابق هي أن الروائية جمعت بين طرح مشكلة اقتصادية والتعبير العاطفي بالنّسبة إلى موقف الآخر فهي كما تشير إلى فقدان الجودة لمصنوعات الآخر تحكي كذلك عن مدي ابتعاد ذاتها واشمئزازها للآخر حيث لا نكهة ولا جذابية للطعام الذي جرّبته الشخصية الرائية عند الآخر ممّا يحكي عن مدي تفاعل هوية الشخصية الروائية مع المشاكل الرّاهنة و((الهوية في الحقل المزدوج للسّلطة هي بالأساس حقل ثقافي بما أنّها نتيجة مسار توحيدي لعلامة وذات وفي هذا المعني تكون الهوية رهان الجدلية الصعبة لتضامن الفاعلين الاجتماعيين السياسيين ولصراعاتهم المستمرة في مختلف الممارسات الفردية والاجتماعية.)) (التريكي، ٢٠١٠، ٤٤) وهي كذلك تُشير إلى طبيعة العربي في الكرم لكنّها تستخدم الأسلوب السّخري، فهي تقول نحن كذلك نخدع أنفسنا في تقديم الأفضل للآخر باسم المصالح؛

((معك حق.. بلدنا لا يظلم الآخرين، على العكس، هو يحميهم من خداعه.. لكنه لا ينفكّ يخدع نفسه.. لا ينفكّ يسفّه نفسه.. إلى متى سيستمرّ خداعهم لنا؟ وإلى متى سنستمرّ بخداع أنفسنا؟)) (شهرزاد، ٣٥).

والشّاهد السّابق أيضاً هو تأييد لما سبق. أشارت الشخصية الرّوائية في الشّاهد السّابق إلى بعض أخلاقيات الشّعب التي كأنّها ظهرت متأثّرة بالآخر أي الخُداع في البداية ظهر من الآخر ومن ثمّ انتقل إلى الشّعب. وهذا الشّاهد أيضاً لا يخلو من إبداع الروائية بحيث استطاعت أن ترسي جسراً بين حديثها عن القتصاد وهواجس الذّات.

من الملاحظات الأخر التي أشارت إليها الرّوائية هي موقف الآخر من اقتصاد الجزائر كما لم تكن متجاهلة بالنّسبة إلى دور وموقف الأنا الجزائرية أمام الآخر في هذا المجال؛

((هذا ما كان ينقصنا – قلت في نفسي – بني الأصفر – صـــاروا "يملؤون الشوارع ويزاحمون أهلها في تجارتهم الشرعية وغير الشرعية! وأخشى أن يزرعوا أقدامهم فوق رؤوسنا، فذلك لن يصعّب من استكمال حضور باقي أبدانهم الصغيرة.. إنهم ليسوا بذكاء الفرنسيين، إنهم عباقرة، يقدّسون العمل، لا يتعبون ولن يحتاجوا للجزائريين في العمالة ولا في غيرها.. أراهم كل يوم كما لو كنتُ أرى الاستعمار الفرنسي في شبابه.. وتلك كانت شروطا فرضوها على حكومات، قلّما تساوم لأجل مصالح شعبها.. إنها تساوم فقط حين يخص الأمر مصالح ((أسيادها)).. كان العذر الأقبح من ذنب.. كسل الجزائريين واستكبارهم عن العمل الشاق!)) (شهرزاد، ٦٣).

كما أشار الشّاهد، هجم بنو الأصفر أي الغربيين والأروبيين على الأسواق واحتلوها اقتصادياً وأصبحوا يتملكون السّوق، هم عباقرة، يقدّسون العمل ولايتعبون وهذا تأكيد على أنّه تدور كافّة الأعمال في البلدان الغربية على ركيزة الاقتصاد والنشاطات الاقتصادية. هذا النّشاط الذي يقوم به الغربيون في الجزائر يتجدّد كلّ يوم دون أن يفقد شيئاً من شدّته وحدّته وأمّا العذر الأقبح من الذّنب هو موقف الجزائريين من هؤلاء التجّار حيث كانوا يجتنبون الأعمال الشاقّة والمتعبة وكذلك ينصرفون عن القيام بصفقات كثيرة الأخطار. والشّاهد السّابق لم يخل من طابع سخري ((وقد استخدم الكاتب السّاخر الرّواية في جميع الغايات التي يتغياها الأدب الفكاهي كالتعريض، وتصوير عيوب المجتمع ونقد الأوضاع والتقاليد الشّائعة، ومناهضة الاستبداد والنظم السياسية القائمة.)) (شرف، ١٩٩٢، ١١٤) وسخرية النّص تتمظهر في قول الشخصية الرّوائية وأخشي أن يزرعوا أقدامهم فوق رؤوسنا والمقصود من هذا المصطلح كذلك التأكيد على كثافة حضور الآخر الغربي في الجزائر كما أن الأسلوب الكلامي والمصطلحات المستخدمة هي كذلك تحمل طابعاً سخرياً.

تحديات القيم والثورة إثر مرور الزمن:

من الموضوعات التي أشارت إليها عبير شهرزاد وتعدّ من أهم الموضوعات التي تمتلك فكرة ما بعد استعمارية هي تنبيه الروائية بالنّسبة إلى التحديات والأزمات التي واجهها الشّعب الجزائري في السنين الأخيرة أي والمراد هو أنّ الآخر المحتل بدأ يمتصّ قيمة الشعوب

لقيمهم ومبادئهم التي نشأوا عليها وجاهدوا من أجلها فـ((عمل الاستعمار على طمس هوية الشعوب المستعمرة وذلك من خلال التدمير والحط المعتمد لثقافة الشّعب، لفنّه، لرقصاته، لديانته، لجغرافيته، لتعليمه، لمرويه وأدبه، والإعلاء الواعي من شأن لغة المستعمر.)) (واثينغوا، ٢٠١١، ٢٨) وذلك بقصد النفوذ بين الشعب وتنفيذ خطاته لدقّ الإسفين بين النّاس. من الشّواهد التي تحكي عن واقع المجتمع الجزائري؛

((تساءلت: من سيقرأ مقالي وبلاد الشهداء كانت مضبوطة على مونديال ٢٠٠٦، وحديث الصباح والمساء فيها الضربة الرأسية التي نطح بها زين الدين زيدان اللاعب الإيطالي ماتيراتزي؟)) (شهرزاد، ٨٠).

تعتقد الروائية بأنّ الشّعب الجزائري فقد قيمة الحرية وضرورة الدّفاع عنها بعد الثّورة. فهناك القليل من النّاس يتتبّع أخبار الظّروف السياسية التي كانت تعمّ البلدان الجزائرية والعالم ولذلك كانت تخشي الشخصية الرّوائية من أن تُنشر مقالها والشّعب منشغل بأمور جانبية أخرى أقلّ أهمية وقيمة بالنّسبة إلى الوطن والثّورة وهذا يعني أن زهور ونيسي وجّهت الأنظار إلى الموضوعات الخطرة منها الثقافة والاحتلال الثقافي حيث الشّاهد السّابق يحكي عن عدم أهمية دور الشخصية الروائية المثقّفة بين النّاس. يمكن القول حتى بأنّ الروائية بالتطرّق إلى هذا الموضوع كأنّها أشارت إلى موقف المرأة المثقّفة في المجتمع حيث ((يعود تأخّر الكتابة النسوية بالجزائر إلى التقاليد الاجتماعية التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية تنطوي على كثير من الاحتقار وتري أن تواجدها في الحركة الاجتماعية والثقافية والأدبية يثير الفتنة ويشجّع الانحلال ممّا كبّلها وفرض عليها ظروف العزلة، والتمجيد لطاقاتها الإبداعية، بل ومحاربتها)) (يمينة، ٢٠١١، ٩٤) وكأنّ الشخصية الروائية كانت تروم إلى أمرين انحلال القيم وتتبعاتها وخاصّة في المجال الثقافي بين النّاس وتفاقم هذا الأمر فيما يتعلّق بالمرأة الجزائرية المثقّفة.

الهجرة إلى بلدان الآخر واللجوء إليه والهروب من الوضع الذي كان يعمّ الجزائر من الموضوعات الأخرى التي أشارت إليها الرّوائية والتي تعدّ كذلك فرعاً على قيمة الاهتمام بالوطن ومبادئه؛

((على الأقل لم أفعل كما فعل أولئك، الذين أخفوا حقائق سفرهم طويلا، وتوّقفت

البواخر التي كانت تجرّهم وفضالات الفرنسيين إلى الوطن، تحلّق هداياهم القديمة بغرورهم فوق المتوسط، ويوزّعونها كتذكار جميل على بؤساء الضفة الأخرى من الغربة، أولئك الذين يَقْبَلُون ويقبّلون النعم التي تذرفها سماء باريس)) (شهرزاد، ١٠)

أشارت الرّوائية في الشّاهد السّابق إلى الجزائريين الذين انبهروا بمجتمع الآخر وثقافته وهاجروا إلى بلد الآخر لكن هذه الهجرة لم تكن علنية بل يبدو وكأنّها تمّت بخفية خوفاً من غضب الثوريين. أمّا من هاجر فهو لم يهاجر فحسب بل أصبح يقبل ويقبّل النّعم التي تذرفها سماء باريس أي أصبحت رؤيته إنبهارية أمام الآخر والذي يعبّر عن هذه الرّؤية كذلك بالتشويه الإيجابي ((حيث تسيطر على الأنا المبدعة أو الدارسة مشاعر الدونية، فيتم من خلالها رؤية الواقع الثقافي الأجنبي في حالة من التفوّق المطلق على الثقافة الوطنية الأصلية.)) (حمّود، ٢٠١٠، ٢٧) وكذلك لا يخلو النّص من السخرية والاستهزاء من هؤلاء المهاجرين الذين تخلّوا عن الوطن وجراحاته.

حاولت رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد طرح مشاكل جدّية فيما يتعلّق بالقضية الجزائرية والأهمّ منها المشاكل الرّاهنة والحديثة. تعتقد شهرزاد بأنّ الحرية وثمنها الذي قام بدفعه الشّعب الجزائري هو أمر قيم بكثير، أي على الشّعب أن لاينسي تلك المجاهدات والآلام والقيم التي قدّمها للحصول على الحرية، فهي تنقد تغير الجزائريين الثوريين وتفرّقهم وتري بأنّ هذا التغير والتفرّق نتج إثر عدم الاهتمام بمبادئ الحرية والثّورة بواسطة الشّعب الجزائري بعد نيل الحرية.

((واستمرت الاحتفالات بهم أياما وأشهرا، استمر معها احترامهم للمجاهد وتقديرهم للشهيد سنوات أخرى.. ثم انتهى كل شيء.. مع انتهاء الاحتفال وغمرة الاحتفال وانقراض الرجال.. وانفضّ العرس، على تغيّر المنتصرين.. بعد أن مات بعضهم وتفرّق البعض الآخر. وكم سُئلت! سُئلت عنّي، عن أهلي وعن مسقطي.. ولم يكن ينبغي لأحد أن يسألني: هل تعرفين لك من اسم؟ وكيف أعرف لي اسما أو تاريخ ميلاد، في وطن كانت الأسماء تختار فيه على أضواء الحركة والشّهادات فيه تمنح للبطولات دابر كلّ معركة؟ هل تذكرين أحداً من أهلك أو أقاربك؟.. وكيف أذكر ما يدفعني للنّسيان.. ويقذف بي من نسيان إلى نسيان؟)) (شهرزاد، ٤٤).

استطاعت أن تعبّر شهرزاد عن تلك الحالة التي عايشها الشّعب الجزائري أيام الثّورة والتحرير، فهي بطابع لم يخل من السخرية اللاذعة تُشير إلى أنّها لم تتذكر اسمها، لأنّه كانت تختار الأسماء على أضواء الحركة والشّهادات وهذه إشارة إلى قيمة الجهاد وتقديس الحرية والتضحية من أجلها من قبل الشّعب الجزائري لكنّ اليوم تغير الأمر و هناك أشياء أخرى حلّت محلّ هذا الأمر. تعتقد عبير شهرزاد بأن الثّورة الجزائرية يجب أن تستمرّ ويجب أن يكون هذا الاستمرار بشكل جدّي ومن مختلف الجوانب كي لا ينس الشّعب قيمة التضحيات والدماء التي تمّ تقديمها لهذا الوطن وحينما تتحدّث عن الأسماء وتاريخ الميلاد والنسيان في الشّاهد السّابق هي تشير إلى مدي ألمها وذهولها من هذا الألم أي ألم اللامبالاة بقيم المجتمع.

مشاكل العروبة:

الحديث عن العروبة والمشاكل والأزمات التي تواجهها من الموضوعاتما بعد الاستعمارية التي زخرت بها رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد حيث في الدراسات ما بعد الاستعمارية هناك مبدأ عروبة وقيم إسلامية تربط بين البلدان الشرقية المسلمة أمام الآخر الذي راح ينفّذ خطّاته على هذه الشّعوب و((إنّ غلبة القضايا السياسية ومشكلات الإيديولوجيا على الرواية الجزائرية أمر طبيعي بحكم زخم قضايا الواقع وتعقد مشكالته الفكرية والإجتماعية بعد التحرر من احتلال غاشم استمر مدة قرن ونصف تقريباً.)) (وادي، ١٩٩٦، ١٨٨) فالرواية الجزائرية لم تحتفل بمشاكل الجزائر والصّراعات التي واجهته بعد الاحتلال بل وتعدّت إلى معظم المشاكل والصّراعات في البلدان العربية.

تناولت عبير شهرزاد في رواية مفترق العصور القضية الفلسطينية وخاصّة القضية اللبنانية بشكل جدّي. من الشّواهد التي تحكي عن انتباه عبير شهرزاد إلى العروبة ومشاكلها يمكن الإشارة إلى هذا الشّاهد؛

((التلفزيون؟ هل نحتاج لرؤية المزيد من الدم لنغضب.. والجثث تملأ الشاشات، ورائحة الموت تنبعث من كل القنوات؟ هل سنغضب أكثر إن ارتفع عدد الضحايا والخسائر والحطام يغطي الأرض العربية المنتهكة؟ هل سنخفّض أصوات **الاستنكار** "المخنوقة سلفا، حين تقنعنا تل أفيف بأسبابها غير المسببة؟ هل علينا أن نرفع رأسنا وحكوماتنا تعبر عن مدى أسفها على ما يحصل

بلبنان، بعرض صور المأساة من جهة وعرض إشهاري للمساعدات الخرافية التي يقدمونها للشعب اللبناني، والتي عجزوا عن خرق حصار اليهود لتوصيلها؟ هل سنعتنق الصمت مرة أخرى كما اعتنقناه مع البوسنة والهرسك؟ مع فلسطين وأفغانستان؟ مع بغداد وسوريا؟)) (شهرزاد، ٨٢).

تُشير الشخصية الرّوائية بأنّ الحطام أصبح يغطّي البلدان العربية والذي يكون سفك الدّماء والخسائر والحروب الدّاخلية والخارجية أهم مظاهره. تُشير الشخصية الرّوائية إلى قصور العرب في موقفهم من القضية اللبنانية لمرّة أخرى كما أنّها تُشير إلى مواقفهم الأخرى في حق فلسطين وأفغانستان وبغداد وسوريا و((ونحن نرى قضية عربية أخرى لا تقلّ عن القضايا الأخرى قد أقحمتها الروائية الجزائرية الشابّة عبير شهرزاد في روايتها مبدية بذلك تأييدها لهذه القضية والتعاطف مع الشّعب اللبناني.)) (صحرة وليلة، ٢٠١٤، ٨٧) وتعتقد الروائية بأنّ عدم الوحدة والتفرقة السّائدة على البلدان العربية من أهمّ الأسباب التي ساعدت الآخر الغربي واليهودي على فرض هيمنته على لبنان، فلو أصبحت الهوية القومية العربية متماسكة أمام الآخر لما ارتأت تلك البلدان العربية هذا القدر من الدّمار والمشاكل. من الشّواهد الأخرى التي تحكي عن موقف البلدان العربية في القضية اللبنانية؛

((الله يحفظ الارض والشعب معا.. فلا تقلقي.. لقد مات من أجل هذا الوطن اقوم لن يخزيهم الله... معك حق.. وأظنّه سيحفظ لبنان أيضاً..فلبنان لم يعد يحتاج للعرب والعروبة.. لقد استمسك بالعروة الوثقى.. ومن ينصر الله ينصره.. أنا حمّالة أخبار قديمة..)) (شهرزاد، ٨٨).

تعتقد الشخصية الروائية بأنّ لبنان لم تكن محتاجة إلى العرب والعروبة، فهي متمسّكة بالعروة الوثقى فقط، وهذا التمسّك هو الذي ساعد على لبنان في وصوله إلى هذه الدّرجة. بما أنّ هذا النّوع الأدبي الذي بين أيدينا هو من نوع الرواية، لكن هناك ملاحظة وهي أنّ المباحث السياسية والاقتصادية تطغي على المضمون الأدبي في الرّواية بحيث لو فتح القارئ صفحة من وسط الرّواية ظنّ أنّه أمام جريدة تحمل الأخبار السياسية والاقتصادية.

من الشواهد الأخرى التي تُشير إلى موقف العرب من القاضايا العالمية يمكن أن يشار إلى هذا الشّاهد؛

((مساكين العرب.. لقد سمحوا لهم بالحراك أخيرا، بعد أن ألزموهم الشلل طويلا.. كأن مرض الفالج تلبّس أجسادهم.. حمدا لله أن نجو من هذه المهزلة بدور صغير وحقير، في ملحمة نزلت فيها دموع السنيورة، لتبكي العرب جميعا وعلى الملأ.. لقد بكيتُ معه أيضا.. ولم تكن لبنان ما أبكاني.. كان حالنا أشد بؤسا، ونحن نجلس على موائد تدق للحرب.. ونأكل من قوت شعب نسي طعم القوت.)) (المصدر السّابق، ٨٨).

تعتقد الشخصية الرّوائية بأنّ لاشيء يحدث عشوائياً في البلدان العربية. فالشّلل الذي أقعد العرب من الحراك لمدّة زمنية طويلة هو موجّه من الآخر الغربي، قضي أن يتلبّس مرض الفالج بأجساد العرب. أصبح الآخر الغربي يدسّ خطّاته حتى بواسطة الكثير من السياسيين الذين كان لهم دورٌ مهم ومصيري في توجيه الشّعب العربي. لا تخلوا كذلك الرّواية حين تطرّقها إلى مشاكل العروبة عن بعض ملامح السخرية اللاذعة التي تحاول أن تصوّر مأساة المشكلة الرّاهنة والعالقة التي أصبحت أزمة يصعب مواجهتها.

الاغتراب الذّاتي:

يعدّ الاغتراب الذّاتي من أهم الموضوعات التي تُشاهد في خصائص كتابة الروّاية ما بعد فترة الاستعمار. ((تبدأ فكرة الاغتراب عن الذّات بعدم الإنتماء إلى المجتمع، فالفرد يغرّب نفسه عن طبيعته الجوهرية ويصل إلى أقصي قمم التطرّف في التنافر مع ذاته، فالانتماء يمكن الوصول إليه على مستوي العلاقات بين الأشخاص فقط من خلال الوحدة مع البنية الاجتماعية وبالتالي فإنّ الفرد بتوقّفه عن أن يكون في وحدة مع تلك البنية الاجتماعية يفقد انتماءه)) (العبدالله، ٢٠٠٤، ٧) تستعيد الشخصية الروائية الهواجس والأفكار والأعمال والنفسيات التي عايشتها قبل ظهور الاستعمار، وتتشوّق وتتلهّف إليها، تتفقدها وتسكب على فقدها العبرات.

سامية هي بطلة هذه الرّواية التي جاهدت حقّ الجهاد في الدّفاع عن القضية الجزائرية. كانت سامية تُسافر إلى شتّي البلدان والمُدن كي تُدلي بدَلوها في النّدوات والمهرجانات بالنّسبة إلى قضية تحرير الجزائر والمدن العربية الأخرى من الاستعمار الغربي والفرنسي. من الشّواهد التي تحكي عن اغتراب الشخصية الرئيسية لرواية عبير شهرزاد؛

و((تعرفون سنوات الاحتلال وتذكرون بلا شك سنوات المقاومة وقصة التحرير

والنضال ولا أظنكم نسيتم قضية التعذيب وكلّها تفاصيل تهزّ البدن وتدمي القلب وتنحت الذاكرة بصور لا تمحي وجراح لاتشفي وجرائم لا تنسي لكننا برغم كل شيء سامحنا دون أن ننسي وطوينا الصفحة دون أن تمزقها..)) (شهرزاد، ١٦٩).

تأثّرت شخصية سامية بالنسبة إلى التغييرات التي طرأت عل الجزائر تأثيراً مؤذياً جعلها في حالة غريبة تعالج جرحها النفسي بصعوبة و((لايمكن لسامية أن تكرّس الرؤية الالمقاوماتية، كيف لا وهي الثائرة المجاهدة التي عملت على تصفية الحسابات مع الآخر فكانت نموذج الشخصية التي أحالت إلى التمسك بالقيم الثابتة والمؤصّلة وكرّست مقولة تخليد التنابذ واستحالة الجمع بين الفضاءات فرغم المصالحة إلّا آن النسيان لا يمكن)) (ليلي، ٢٠١٩، ١٢٦) ويعود هذا الأمر إلى هذا السّبب أي أنّ شخصية سامية هي تمثّل رؤية الروائية تماماً ونشاطاتها التي قامت بها من أجل الوطن. من الشّواهد التي تحكي عن الشّعور بالاغتراب عند سامية؛

((يقول اليوم إنه عائد!.. أية هلوسة تدعوه للمجئ وقد كفّفت ندائي.. ولم يعد أملاً أدعوه من بعيد!.. أين ألقاه والوطن أصبح لهم ولم يعد لنا متّسع نزاحمهم؟ على أي جسر قد نلتقي والجسور صارت وهما يفتعل العدم؟)) (شهرزاد، الأوّل).

تحكي سامية في مستهلّ الرّواية عن عودة عشيقها إلى الجزائر، لكنّها أرادت أن تصوّر للقارئ اغترابها الذّاتي من خلال هذا الشّاهد. فهي افتقدت الآمال والهواجس كلّها. فهي لم تجد متسعا لنفسها في وطنها، بل أصبحت كلّ الجسور وهماً بعد أن كانت مصدر الجذابية والإلفة في المدينة. من الإبداعات التي قامت بها شهرزاد هي التعبير عن الاغتراب الذّاتي بواسطة المكان حيث تعدّ الجسور من أهمّ الأمكنة في مدينة قسنطينة وتشتهر قسنطية بمدينة الجسور. تُضاعف الجسور المعلّقة جمالية هذه المدينة بل تميزها عن المدن الأخرى، لكنّ سامية ترى بأنّ هذه الجسور بعد أن كانت مصدر الحيوية والنّشاط، أصبحت فاقدة المعنى وذلك بعد دخول الآخر المحتل.

من الشّواهد الأخرى التي تحكي عن اغتراب الشخصية الذّاتي؛

((وفي الحقيقة لست أدري بالضبط.. لست أدري.. ربما كنتُ مجرّد مرحلة انتقالية، جُبلت من طين أفلاطونية.. ربما ظهرتُ فقط، كي أربط بين جيلين، بين زمنين.. كشاهد عصر ولد وظهر في مفترق

العصور.. فلم يكن الماضي هو.. ولم يشعر بأن الحاضر له.. فأمضى حياته كما أمضيها.. أُسجّل ما فات، زمنا بعد زمن، وذاكرة بعد أخرى، ومصيرا خلف قدر..)) (شهرزاد، الفصل الثّاني)

سامية، الشخصية الرّئيسية في الرّواية بلغت من العمر ما يناهز الستّين وهي استطاعت أن ترى الجزائر في العهدين أي عهد الاستعمار الفرنسي وكذلك عهد الاستقلال، فهي بهذه الصّفة فاقت الشخصيات الأخرى في أنّها تكتسب معلومات كثيرة بالنّسبة إلى الجزائر. تستعيد سامية الأحداث التي ظهرت في عهد الاستعمار الفرنسي وتحاول أن تقوم بتحليلها وشرحها. وبما أنّنا أشرنا إلى تشابه شخصية سامية والرّوائية عبير شهرزاد يعدّ الاغتراب في الأدب ((أوّل مظاهر الاغتراب في الأديب كما يبدو في انعزاله عن مجتمعه؛ أي بمعني إحساس الأديب بالمنافسة التي تفصله عن مجتمعه في مجال القيم.)) (النّوري، ١٩٧٩، ٢١) فتحاول سامية أن تربط بين جيلين أي تحاول أن تنبّه الجيل الجديد بالنّسبة إلى الأحداث التي وقعت في الجزائر وذلك بسبب عشقها إلى الوطن وخوفاً من أن يفتقد الوطن حريته التي اكتسبها بعد أن رأي أبطال الثّورة ضروب القمع والتعذيب، هي تُريد أن يعرف الجيل الجديد ثمن هذه الحرية، ولذلك، فهي ترى نفسها قد وقفت على مفترق العصور، أي الماضي بآلامه وأحداثه والمستقبل بأخطاره وطياته التي لم تكتشف بعد للجزائري. وأمّا موقف سامية بالنّسبة إلى الحال، فهي تُحاول أن تمعن النّظر في خطّات المستعمِر الحديثة التي تحدّثت كذلك بمرور الزّمن وراحت تستلب الثقافة والحضارة للشخصية الجزائرية.

الحنين والتشوّق إلى الذّات والوطن:

الحنين والتشوّق إلى الوطن كذلك يعدّ من ملامح الكتابة ما بعد الاستعمارية.كما أشير في الصّفحات السّابقة، كانت تسافر سامية إلى بلدان عديدة وحتّي دول كثيرة بقصد دعم القضية الجزائرية وحرية البلدان التي ما زالت تشكو من الآخر المستعمر والمحتل، ولهذا سافرت إلى بلدان كثيرة كفلسطين ولبنان و... في إحدي السّفرات، صادفت سامية امرأة تُسمّي بليلي ودعيت إلى بيتها لكنّها حينما دخلت البيت عبّرت بهذه الطريقة عن هواجسها وأفكارها؛

((وأخذتِ السيدة ليلى بيدي إلى الجانب الآخر من الغرفة.. وسحبت الستار عن نافذة وهمية، رُسمت على الجدار بريشة زيتية، تنمّ عن لوحة خيالية للقصبة.. شعرتُ بلوثة جنون اختطفتني من

الوعي إلى اللاوعي.هذه نافذتي على الوطن.. إتخذتُها منذ سنوات الغربة الغريبة والمنفى **الاجباري الاختياري**كانت تطلّ بي على الوطن حين يهجوني الوطن.. أبايع منها منازل أجدادي وبساطة النساء في الأسواق وبراءة الأطفال في الزّنق.. كنتُ أفتحها كل يوم على خبر قديم وخبر جديد.. كانت تحاكيني وتسلّيني وتطمئنني.))(شهرزاد، ٣٢).

استطاعت سامية أن تعبّر عن شعورها الدّاخلي تجاه الوطن. لوحة واحدة منصوبة على الجدار استطاعت أن تضيع كلّ شيء على سامية أي استطاعت أن تمسك بيد سامية وتأخذها نحو كلّ ما كان يتواجد في وطنها و((لا غرابة أن نستشعر في هذا التمثيل الرّوائي تركيزاً على الهوية ومقاومة للمنافي الاختيارية الاجبارية عبر دوائر تؤثّث الأفق التخييلي للذّات التي تعيش على إيقاع الذكري والحنين.)) (ليلي، ٢٠١٩، ١٢٧) هذا يعني أن هذه الشخصية الرّوائية أصبحت مجنونة لوطنها، ترى الوطن أينما تذهب، تفكر في الوطن أينما تتّجه، أي صار الوطن شغلها الشّاغل.

((دخلنا البيت دون أن نضيء أنواره.. كان الظلام طرفا في حزننا.. كنا نحتاج لأن نبكي في الخفاء.. النور كان ليفضحنا.. أغلقتْ كل واحدة باب حزنها وادعت النعاس كي تنام وحدها.. جلستُ أتكئ على النافذة الوهم.. أزحتُ الستائر عن صورة **الـــوطن** "تحسّست تقاسيمه، شعرتُ به يلامس جلدي، قبّلته في لطف وكشفت له عن دموعي كلها.. كانت تلك آخر حبة للألم.. فليس من الأمن أن نحب رجلا تحبه كل النساء.. لكن كم كان يلزمني من الوقت ومن الألم، قبل أن تنمحي إلى الأبد صورته؟)) (شهرزاد، ٦٨).

جدلية الحُبّ إلى الوطن والعشيق من أهمّ الموضوعات الفرعية التي حفل بها الرّوائيين وهناك الكثير من الرّوايات التي تدور فيها الأحداث حول علاقة ثنائية تتبادل بين شخصيتين ويكون الوطن العامل الثّالث الذي يدخل في تلك العلاقة. رواية مفترق العصور هي كذلك حاولت أن تعبّر عن عشق الوطن والعروبة بواسطة بعض العلاقات الجزئية التي جرّبتها الشخصيات الرئيسية. شخصية سامية من الشخصيات الرّوائية التي ظهرت مجنونة في عشقها نحو الوطن، ظهرت هذه الشخصية قوية دون أن تفكر لحظة بشكل جدّي في عشق أو علاقة تردعها من الوطن و((الروائية الجزائرية "عبير شهرزاد" كونها مواطنة محبة لوطنها، تعتز وتفتخر به فهي لم تفوت فرصة الحديث عن حب الوطن في روايتها هذه، حيث تحدثت عن

المناضالت الجزائريات الالئي أحببن وطنهن، كما تحدثت عن ماجدة الرّومي.))(صحرة وليلة، ٢٠١٤، ١١٩) و تظهر سامية انشغالها الفكري بالنسبة إلى الوطن على أشكال عديدة في الرّواية، فهي كانت تجرّب حالة حزن وألم لاتفارقها في كلّ الأحوال وهذا ما يتّضح في بداية الشّاهد السّابق بوضوح. ترى الشخصية الوطن كما ترى إنساناً عادياً فهي ترى صورة الوطن، تتحسّس تقاسيمه، تشعر بأنّه يلامس جلدها، تقبّله في لطف وتكشف له دموعها وهي كلّما تفكر ترى بأنّ هناك لم يكن محبوباً حقيقياً ما عدا الوطن لأنّ الرّجل يمكن أن تُحبّه كلّ النّساء أمّا أن يشتركن النّساء في حُبّها إلى الوطن، فهذا الأمر مُستبعد عن الشخصية الرّوائية.

نتائج البحث:

مطالعة الآخر المحتل والاستعمار والاقتصاد وتحدّيات القيم والثورة الجزائرية إثر مرور الزّمن ومشكلة العروبة والاغتراب الذّاتي والحنين والتشوّق إلى الوطن من أهم الموضوعات التي أشارت إليها الروائية في رواية مفترق العصور. حاولت الروائية أن تبين في كلّ الموضوعات التي سلّطت الضوء عليها مخاوفها وهواجسها وقلقها حيث حاولت الروائية أن تبين الفكرة والأزمة المتعلّقة بكلّ من الموضوعات المذكورة ومن ثم تبين شدّة وحدّة المشكلة الرّاهنة ومن ثمّ تنبّه بالنّسبة إلى المشاكل وفي معظم الأحيان حاولت الروائية بدورها أن تقدّم حلولاً لتلك المشاكل وذلك بواسطة الشخصيات الروائية.

ممّا ميز الموضوعات ذات الرّؤية ما بعد الاستعمارية والتي أشرنا إليها فيما سبق هي إمعان نظر الروّائية في تطرّقها إلى كلّ من الموضوعات الروائية حيث تجاوزت الروائية تلك الإطار التقليدي الذي يقوم على توجيه إصبع الاتّهام نحو الآخر وتحمّله كافّة المآسي والمشاكل التي حلّت بالشّعب الجزائري بل استطاعت الروائية أن تجسّ نبض المشاكل والتحدّيات فهي إضافة إلى انتباهها بالنّسبة إلى مدي تأثير الآخر إلى المشاكل التي يعاني منها الشّعب الجزائري هي كذلك تدقّق في حالة الشعب الجزائري وموقفه أمام هذه المشاكل وهي ترى بأنّ الشّعب الجزائري والعربي يعاني في معظم الأحيان من سوء التدبير في مقاومة هذه المشاكل فهي تعتقد بأن هناك قصور من قبل الشّعب وتنظر إلى المشكلة بشكل واقعي.

من الموضوعات التي تشهد على مدي بعد نظر الروائية عبير شهرزاد في تطرّقها إلى

الموضوعات ذات الرّؤية ما بعد الاستعمارية هي أهمية الباحثة بالنّسبة إلى المشاكل العامّة التي تعاني منها البلدان العربية ففي روايتها ذكر للقضية الفلسطينية وكذلك القضية الجزائرية ومعظم البلدان العربية وموقفها أمام الآخر كما أنّها تستعيد الأحداث التي سجّلت في الذاكرة العربية منذ عشرات السين يحكي عن ثقافتة وأهمية الروائية ومدي اهتمامها بالاستعمار ومخلّفاته في الوطن العربي.

من الميزات الأخرى التي تميزت بها رواية مفترق العصور هي الأسلوب التي اتّخذته الروائية للتعبير عن القضايا الما بعد الاستعمارية ذات الملامح السياسية والاجتماعية التي قد تؤدّي إلى ملل القارئ حيث حاولت الرّوائية أن تستخدم لغة أدبية لطيفة فهي تستخدم أسلوب السخرية بعض الأحيان وتجمع بين الحب للرجّل والحبّ للوطن كما هناك اللغة الوصفية والمشاهد الوصفية الدقيقة التي تحكي عن مهارة الروائية في أسلوبها السّردي.

قائمة المصادر والمراجع

١. البازغي، سعد والرويلي، ميجان (٢٠٠٠)، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنّشر والتوزيع، بيروت؛ لبنان.

٢. تحري، ليلي (٢٠١٩)، الحوار الحضاري بين جدليتي المقاومة والاستلاب، مفترق العصور لعبير شهرزاد أنموذجاً، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد ٨؛، العدد الأوّل، صفحة ١٣٠-١٢٢.

٣. التريكي، فتحي (٢٠١٠)، الهوية ورهاناتها، ترجمة نور الدين السّافي وزهير المدنيني، الدار المتوسّطة للنشر، تونس.

٤. حفناوي، بلعلي (٢٠٠٧)، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى.

٥. حمّود، ماجدة (٢٠١٠)، صورة الآخر في التراث العربي، الجزائر؛ منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى.

٦. خليل، سمير (٢٠١٦)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ((إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. سعيد، إدوارد (١٩٨١)، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية.

٨. سعيد، إدوارد (٢٠٠١)، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسّسة الأبحاث العربية للنشّر والتوزيع، بيروت.

٩. سعيد، إدوارد (٢٠٠٦)، المثقّف والسلطة، ترجمة محمّد عنّاني، القاهرة، دار رؤية للنّشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٠. سميرة، هنو (٢٠١٢)، الواقعية في الرواية الجزائرية المعاصرة، مذكرة تخرج لاستكمال درجة الماجستير في تخصص الأدب الجزائري، جامعة بجاية.

١١. شرف، عبد العزيز (١٩٩٢)، الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشّر والتوزيع لونجمان، الطبعة الأولى.

١٢. شهرزاد، عبير (٢٠٠٧)، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر.

١٣. صحرة، يجد وليلة، طالبي (٢٠١٤)، السياسي والاجتماعي في رواية مفترق العصور لعبير شهرزاد، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة بجاية.

١٤. العبد الله، يحيي عبد الرّؤوف (٢٠٠٤)، اغتراب الشخصية الروائية، دراسة في روايات الطّاهر بن جلّون، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة.

١٥. عجناك، يمينة (٢٠١١)، قضايا المرأة في الكتابة النسوية في الجزائر ((زهور ونيسي تموذجاً))، مجلّة التبيين الجاحظية، العدد ٢٦.

١٦. نادية، بوحاريش (٢٠١٦)، النظرية ما بعد الكولونيالية والتلقّي العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص ونقد ودرسات ثقافية، الجمهورية الجزائرية، جامعة الصديق بن يحيي.

١٧. النوري، قيس (١٩٧٩)، الاغتراب مصطلحاً ومفهوماً، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مجلّد ١٠، العدد الأوّل.

١٨. واثينغوا، نغوجي (٢٠١١) تصفية استعمار العقل، ترجمة سعدي يوسف، دار التكوين، سوريا.

١٩. وادي، طه (١٩٩٦) الرواية والسياسة، دار النشر للجامعات المصرية، طبعة الأولى.